جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرَّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Volume 11, Issue 2, June 2025

الإصدار الحادي عشر، العدد الثاني، يونيو 2025

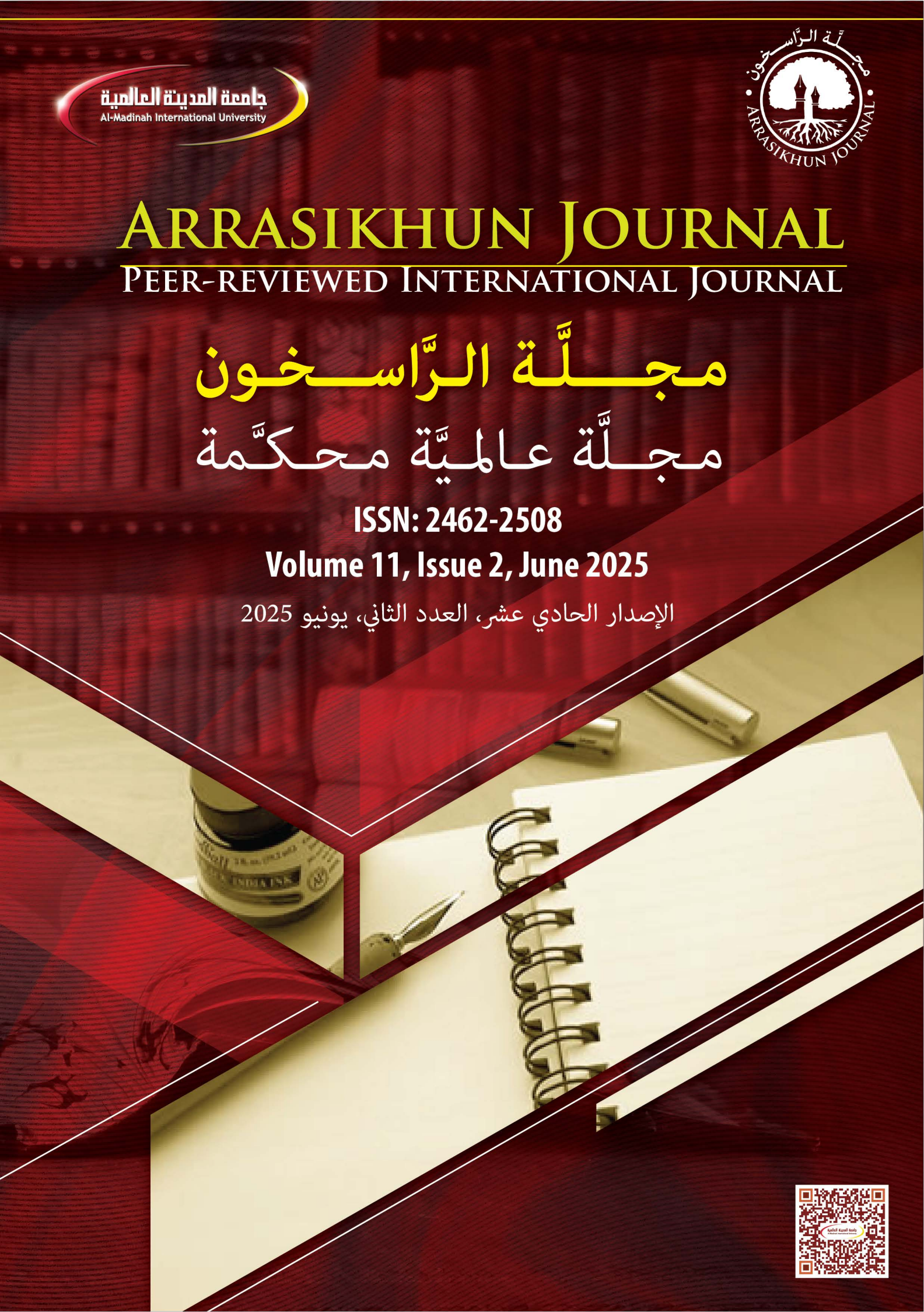

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار الحادي عشر، العدد الثاني، يونيو 2025

أولًا: الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1. الاستفهام في القرآن الكريم: أغراضه وأثره في فهم المعنى	15_1
2. أثر لغة البيان في فهم القرآن الكريم	37_16
3. مجالات التفسير الموضوعي، دراسة نقدية	63_38
4. مصطلح (حسن المعرفة) عند المحدثين دراسة نظرية تطبيقية (نماذج مختارة)	81_64
5 أثر خيار الرؤية في عقد البيع وتطبيقاته العملية ومسقطاته	96_82
6. من اختيارات القاضي عبد الوهاب المالكي في بابي الإقرار، والشفعة من كتاب: (المعونة)؛ دراسة فقهية مقارنة	117_97
7. الإيمان بربوبية الله تعالى وما ينقضه من الإلحاد والشرك	159_118
8. النوازل المعاصرة في والسياسة الشرعية وموقف الدعوة الإسلامية منها	184_160
9. برامج التأصيل الشرعي والفاعلية في الجمعيات الخيرية العلمية وأثرها في الدعوة إلى الله من وجهة نظر مستفيدي الجمعيات الخيرية العلمية بجدة	200_185
10. وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها في جمهورية المالديف	218_201

ثانياً: الدراسات اللغوية

البحث	صفحة
11. نظريّة الأفعال الكلاميّة في نماذج من فن التوقيعات (دراسة تداوليّة)	248_219
12. استراتيجيات تطوير المستوى اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها	268_249

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد الفتاح عبد القوي

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ الدكتور/ خالد حمدى عبد الكريم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد الفتاح عبد القوي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصرى
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي سيد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله رمضان خلف مرسي.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الواسع إسحاق ناصر الدين.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد الحلواني
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد بخيت
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد أحمد عبد الحميد طايل
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الحميد الشرقاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الرحمن سلامة.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله النجار

Arrasikhun Journal، Volume 11، Issue 2، June 2025

ISSN: 2462-2508

نَظريَّةُ الأَفعالِ الكَلاميَّةِ في نماذجَ مِنْ فَنِّ التَّوقيعات (دِراسةٌ تَداوليَّةٌ)

عبد الرازق فالح جرار
باحث دكتوراه – كلية اللغات
جامعة المدينة العالمية – قسم اللغة العربية
abedjarrar@gmail.com

الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب
الأستاذ المشارك بكلية اللغات – جامعة المدينة العالمية – قسم اللغة العربية
mohamed.salah@mediu.my

الملخص

يتناول البحث دراسة نماذج من التوقيعات العربية من خلال تطبيق أدوات نظرية أفعال الكلام حسب تقسيم سيرل؛ إذ قسّم الأفعال من حيث قوتها الإنجازية إلى (الأفعال الكلاميّة الإخباريّة، الأفعال الكلاميّة التّوجيهيّة، والأفعال الكلاميّة الالتزاميّة، والأفعال الكلاميّة التّعبيريّة، والأفعال الكلاميّة الإعلانيّة)، **وتأتي أهمية البحث** باعتباره يدرس التوقيعات من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة – التداولية – إذ تعمل الدراسة على إظهار التوقيعات من وجهة نظر الأفعال الكلامية من حيث القوة التأثيرية ووقعها على المتلقي. **وتتمثل إشكالية البحث** في الإجابة عن السؤال الرئيس: ما القوة الإنجازية للتوقيعات؟ وما أثر ذلك على المتلقي؟ وكيف أثَّرت البيئة المحيطة بإنجاح عملية التواصل بين مُنشِئ التوقيع ومتلقي التوقيع؟؛ إذ **يهدف البحث** إلى تحليل نماذج من التوقيعات تحليلًا تداوليًّا وفهم العلاقة بين المتكلِّم والمخاطَب والجو العام الذي قيل فيه التوقيع؛ وبالتالي الوصول إلى قوته الإنجازية، **واتبع الباحث** في هذا البحث المنهج الاستقرائي؛ إذ استقرأ الباحث عددًا من التوقيعات ذات الصلة بمختلف مُنشئيها (خلفاء ووزراء ومسؤولين...)، إضافة إلى توظيف منهج التحليل التداولي؛ وذلك من خلال تحليل نماذج من التوقيعات وفق نظرية الأفعال الكلامية، **ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث** أنَّ كثيرًا من نصوص التَّوقيعات كانت خطابًا تداوليًّا بامتياز، لما فيه من تنوع الأساليب وتنوع المتكلمين وتنوع المخاطَبين، كما وجد البحث تنوعًا بالأفعال الكلامية في التَّوقيعات على اختلاف أنواعها، كما كشفتِ الدراسة عن القوة الإنجازية الواردة في الأفعال الكلامية للتوقيعات.

الكلمات المفتاحية: القوة إنجازية، الأفعال الكلامية، التوقيعات

Abstract

This research examines examples of Arabic signatures by applying the tools of speech act theory according to Searle's classification، which divides verbs according to their performative power into (informative speech acts، directive speech acts، obligatory speech acts، expressive speech acts، and declarative speech acts). The importance of the research lies in the fact that it studies signatures from the perspective of modern linguistic studies - pragmatics - as the study works to demonstrate signatures from the perspective of speech acts in terms of their influential power and impact on the recipient. The research problem is represented in answering the main question: What is the performative power of signatures? What is its effect on the recipient? How did the surrounding environment affect the success of the communication process between the creator of the signature and the recipient of the signature? The research aims to analyze examples of signatures with a pragmatic analysis and understand the relationship between the speaker، the addressee، and the general atmosphere in which the signature was said; thus، arriving at its performative power. In this research، the researcher followed the inductive approach; The researcher examined a number of signatures related to their various creators (caliphs، ministers، officials، etc.)، in addition to employing the method of pragmatic analysis; this was done by analyzing samples of signatures according to the theory of speech acts. One of the most prominent results reached by the research is that many of the signature texts were pragmatic discourse par excellence، due to the diversity of styles، speakers، and addressees. The research also found a diversity of speech acts in the signatures of various types، and the study revealed the performative power contained in the speech acts of signatures.

Keywords: performative force، speech acts، signatures.

المقدمة:

لقد شكلت نظرية الأفعال الكلامية الحديثة المنطلق الرئيس للتداولية؛ فكانت هذه النظرية من أهم محاور التداولية إن لم تكن الرئيسة، والتي وضع أسسها الفيلسوف الإنجليزي (أوستن)، ثم طورها تلميذه الفيلسوف (سيرل) بإعطائها صيغتها النموذجية النهائية[1]؛ إذ نشر الاثنان أفكارهما وآراءهما عبر محاضرات ومؤلفات كان لها الأثر في انتشار نظرية الأفعال الكلامية؛ فالفعل الكلامي عندهما يعني: "التصرّف أو العمل الاجتماعيّ أو المؤسّساتي الذي يُنجزه الإنسان بالكلام، ومن ثَمَّ فالفعل الكلامي يُراد به الإنجاز الذي يُؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة"[2]؛ ولهذا حظيت التوقيعات باهتمام الباحث باعتبارها أفعال كلامية تؤدي معانٍ سياقية، وعليه فإنّ تناول نصٍّ تراثيٍّ مثل (التوقيعات العربية) من منطلق التداولية سيتحوّل إلى إدراك وفهم وَقْع وأثر هذه التوقيعات في المتلقي ومن ثَمَّ الأفعال التي يُنجزها المتلقي بعد ذلك متأثرًا بها؛ ومن هنا حرص الباحث على استخراج الأفعال الكلامية من نماذج محددة من التوقيعات.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في تطبيق نظرية الأفعال الكلامية المنهج اللساني الحديث على نصّ تراثيّ كالتوقيعات، فأركان العملية التواصلية الثلاث (المتكلم والمخاطَب والسياق) جوانب مهمة تدخل في أصل المعنى، وهو جانب شديد الأهمية والإشكالية في سبيل الوصول إلى أوجه المعاني التداولية للتوقيعات.

أسئلة البحث: يرتكز السؤال الرئيس لهذا البحث حول ما المدلولات التي تؤديها الأفعال الكلامية في نماذج من التوقيعات عند تحليلها تداوليًّا؟ وينبثق منه مجموعة من الأسئلة الفرعية الآتية:

1- أين تظهر ملامح نظرية الأفعال الكلامية في عملية التواصل في نماذج من التوقيعات؟

2- كيف يمكن تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على التوقيعات العربية؟

3- كيف يمكن رصد المعاني المباشرة وغير المباشرة للأفعال الكلامية المتضمنة في التوقيعات؟

4- كيف يتحقق إنجاز الأفعال بالكلام وأثرها على متلقي التوقيع؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- التعرف على ملامح نظرية الأفعال الكلامية في عملية التواصل من خلال نماذج من التوقيعات.

2- التعرف على آلية تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على نماذج من التوقيعات.

3- التعرف على المعاني المباشرة والمعاني غير المباشرة للأفعال الكلامية في نماذج من التوقيعات.

4- التعرف على أثر التوقيع في المتلقي، وكيفية إنجازه للأفعال.

(1) صحراوي، مسعود: **التداولية عند العلماء العرب**، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 2005م)، ص10

(2) المرجع نفسه، ص10

مصطلحات البحث:

1. التداولية: دراسة اللغة في الاستعمال.

2. الفعل الكلامي: تعددت تعريفات المصطلح عند العلماء، وسيكتفي الباحث بهذا التعريف الجامع للفعل الكلامي: "وفحوى هذا المفهوم أنه كل ملفوظ ينهض على شكل دلالي إنجازي تأثيري، وفضلًا عن ذلك يعدُّ نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسل أفعالًا قوليَّة؛ لتحقيق أغراض إنجازيَّة تخصُّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًّا في المخاطَب، اجتماعيًّا أو مؤسساتيًّا ومن ثم إنجاز شيء ما"[1]

3. التوقيعات: "ما يكتبه الرؤساء –على اختلاف مراتبهم– تعليقًا على الرسائل المرفوعة إليهم، كأن تُكتب عبارة موجزة، إنشاءً أو اقتباسًا، في حاشية الرسالة المرفوعة إلى الرئيس في أمر ما، فتكون هذه العبارة جوابًا يُعمل بمقتضاه"[2]

الدراسات السابقة:

1. (البعد التداولي في توقيعات هارون الرشيد)، للباحثة حورية محمد العتيبي، المنشور في مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، المجلد 6، العدد 2، ديسمبر 2019م، وتختلف دراسة العتيبي عن دراسة الباحث من حيث المعالجة وعينة البحث. فمن حيث المعالجة اقتصرت العتيبي على تعميم الدراسة التداولية ولم تفكّكها إلى عناصر بحثية منفصلة كما هو الحال في دراسة الباحث التي تناولت نظرية الأفعال الكلامية، كذلك كانت عينتها محصورة بتوقيعات هارون الرشيد خلافًا لدراسة الباحث التي درست التَّوقيعات صعودًا من العصر الراشدي.

2. (الاستلزام الحواري من خلال انتهاك مبدأ الكم في نماذج من توقيعات القرن الرابع الهجري، مقاربة تداولية)، للباحثة سمية بنت صالح بن محمد المحمود، المنشور في مجلة بحوث كلية الآداب في جامعة جدة، سنة 2021م، وتختلف دراسة المحمود عن دراسة الباحث من حيث المعالجة وعينة البحث كذلك؛ فهي قد عالجت الاستلزام الحواري في التوقيعات، بينما عالج البحث نظرية الأفعال الكلامية في التوقيعات.

3. (الاستلزام الحواري في فن التَّوقيعات)، للباحثة خولة عبد الرحمن حمد الموسى، المنشور في مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، العدد 6، في كلية الآداب في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، سنة 2022م، ومن الجلي أن دراسة الموسى أيضًا تختلف عن دراسة الباحث من حيث المعالجة وعينة البحث؛ فهي قد عالجت الاستلزام الحواري في التوقيعات، بينما عالج البحث نظرية الأفعال الكلامية في التوقيعات.

4. (تداولية الإشاريَّات في توقيعات الإمام المهدي)، للباحثة صفاء عبد الكاظم حسين الشمري، المنشور في مجلة الدراسات المستدامة، مجلد

(1) صحراوي، مسعود: **التداولية عند العلماء العرب**، ص10

(2) الدروبي، محمد، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**، (الأردن: دار الفكر، ط1، 1999م) ص68-69.

6، ملحق، قبل كلية التربية والعلوم الإنسانية في جامعة ذي قار، سنة 2024م، فهي قد عالجت الإشاريات في توقيعات المهدي، بينما عالج البحث نظرية الأفعال الكلامية في التوقيعات بشكل عام.

5. منهج البحث: أما المنهج الذي اتبعه الباحث هو المنهج الاستقرائي؛ إذ استقرأ البحث نماذج من التوقيعات، والمنهج التحليلي التداولي وذلك في التحليل التداولي لنماذج من التوقيعات.

6. حدود البحث: يُعنى البحث باستخراج نماذج من فن التوقيعات.

المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلاميّة المفهوم والنشأة والتطور

أوّلًا: المفهوم

التداولية لغةً: التحول والتناقل الذي يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشيء، وتلك حال اللغة؛ متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم"[1]، وهذا ما ذكره طه عبد الرحمن في مفهوم التداولية بقوله: "من المعروف أن الفعل (تداول) في قولنا: تداول الناس كذا بينهم، يفيد معنى (تناقله الناس وأداروه فيما بينهم) ومن المعروف أيضًا أنَّ مفهوم (النقل) ومفهوم (الدوران) مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة...فيكون التداول جامعًا بين اثنين هما: التواصل والتفاعل"[2]؛ وبذلك يكون معنى التداول في اللغة الدوران والتنقل والتواصل.

التداولية اصطلاحًا: ارتبط تعريف التداولية عند الباحثين "باتجاهين مختلفين: الأول: يهتم بالجانب الاستعمالي للغة في السياقات المختلفة، فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية؛ من أجل الكشف عن الوظيفة الإنجازية للغة. والثاني: منطلقه فلسفي، يحاول بحث القضايا المعرفية من خلال آثارها العلمية، يعني أن تباين المنطلقات الفكرية والفلسفية للباحثين في مجال التداولية أدى إلى تباين تعريفاتها"[3]، وبناءً على هذين الاتجاهين فقد تعددت التعريفات لمصطلح التداولية إلا أنَّ جميعها تصب في فكرة واحدة وهي: "دراسة اللغة في الاستعمال".

ثانيًا: النشأة والتطور

يُعدُّ جون أوستن أحد فلاسفة مدرسة أوكسفورد الذين عملوا على تطوير نظرية الأفعال الكلامية، وبدا تأثير أوستن جليًّا في نشأة هذا الفكر من خلال محاضراته التي جُمعت في كتاب (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)؛ إذ قصد من هذه المحاضرات الردَّ على الفلاسفة المناطقة الذين حصروا مهمة اللغة في إنتاج تراكيب خبرية تقبل التصديق والتكذيب بحسب مطابقتها للواقع، بينما أهملوا الجمل الوصفية التي لا

(1) بوجادي، خليفة، **التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادره ومجالاته**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، ع3، 2012م، ص5.

(2)عبد الرحمن، طه، **تجديد المنهج في تقويم التراث**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2، د.ت)، ص244.

(3)مزيد، بهاء الدين، **تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي**، (القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010م)، ص1661.

يمكن الحكم عليها صدقًا أو كذبًا.

وبما أنّ أوستن لم يكن لغويًّا وإنَّما فيلسوفًا فقد انطلقت نظرية الأفعال الكلامية عن أساس فلسفيّ؛ إذ ساد لوقت طويل أنّ غرض اللغة وصف الواقع، فكانت الجمل تخضع للصدق والكذب، كما هو الحال عند البلاغيين العرب[1]" غير أنّ واقع الحال يظهر أنّ عددًا من الجمل لا تخضع لمعيار الصدق ولا الكذب، كما لا تتوخى وصف العالم بقدر ما تطمع لتغييره"[2]، وهذا ما دعا أوستن إلى إنكار "أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم state of affairs وصفًا يكون إمّا صادقًا وإمّا كاذبًا، وأطلق عليه المغالطة الوصفية descriptive fallacy، ورأى أنّ هناك نوعًا آخر من العبارات يشبه العبارات الوظيفية في تركيبها لكنه لا يصف وقائع العالم ولا يوصف بصدق ولا كذب"[3]؛ فأوستين أراد أن يقول إنّ ثمّة أفعالًا لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وإنما هذه الأفعال تتجاوز القول إلى الإنجاز (الأفعال الأدائية)، "ولا تكون هذه الأفعال موفقة إلا إذا تحققت لها شروط الملاءمة felicity conditions، فإذا لم تحقق كان ذلك إيذانًا بإخفاق misfire الأداء، وشروط قياسية regulative وهي ليست لازمة لأداء الفعل؛ بل لأدائه أداءً موفقا غير معيب، فإذا لم تتحقق كان في ذلك إساءة abuse أداء الفعل"[4]، واشترط أوستين لنجاح الجمل شرطين أساسيّين تندرج تحتهما مجموعة من الشّروط؛ هما شرط الملاءمة وشرط القياس. أما شروط الملاءمة فقد أجملها بما يلي:

- "أن تتم هذه الأفعال في وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي معين كما في حالات الزواج والطلاق وغيرها...
- أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة، ينطق بها أفراد معينين في ظروف معينة.
- أن يكون هؤلاء الأفراد مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.
- أن يكون التنفيذ صحيحا ويكون كاملا"[5].

ومخالفة أحد هذه الشروط يُبطل القوة الإنجازية للفعل، كما يرى أوستين.

وأما الشروط القياسية فهي:

- "الصدق في الأفكار، والابتعاد عن الغموض.
- الصدق في المشاعر، كقولك لشخص (أهنئك بهذه المناسبة) وأنت في قرارة نفسك لا تشعر بذلك؛ بل بنقيضه، فقد أسأت أداء الفعل.
- الصدق في النيات، وإلزام الشخص نفسه إلى ما يستتبعه من سلوك ظاهر، فإذا قلت لشخص: أرحب بك ثم سلكت بعد ذلك معه سلوكَ غير

(1) ختام: **التداولية أصولها واتجاهاتها**، (عمّان: كنوز المعرفة، ط1، 2016م)، ص86

(2) ختام: مرجع سابق، ص87

(3) نحلة، محمود، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2002م)، ص43

(4) المرجع نفسه، ص 44

(5) المرجع نفسه، ص64

المرحب فقد أسأت أداء الفعل"[1].

وإنّ مخالفة هذه الشروط أو أحدها لا يمنع حصول الفعل، وإنما يتسبب بسوء استعمال الفعل.

أقسام الفعل الكلامي عند أوستن

وقد جعل أوستين الفعل الكلامي على ثلاثة أفعال تعمل معًا، وتؤدي منجزًا كلاميًّا، وهي:

1) "فعل القول (locutionary act): وهو إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى ومشار إليه"[2]، وينتج عنه المعنى الحرفي.

2) "الفعل الإنجازي (llocutionary act)، وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي"[3] مثل: الأمر والوعد والتحذير والإغراء.

3) "الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول (perlocutionary act): ويُقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطَب سواءً أكان تأثيرًا جسديًّا أم فكريًّا أم شعوريًّا"[4]، فيكون هذا التأثير أمرًا ضروريًا؛ ليحقق أثر الغرابة لدى المخاطَب في أيّ نص أدبي، "وقد أدرك أوستين أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، وأنَّ الفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعًا، فمنها ما لا تأثير له في السامع أو المخاطَب، من ثم كان الفعل الإنجازي عنده أهمها جميعا، فوجه إليه همه حتى أصبح لُبَّ هذه النظرية، وأصبحت تعرف به أيضا، فيُطلق عليها أحيانًا نظرية الفعل الإنجازي أو النظرية الإنجازية"[5]

وبناءً على ذلك فقد قسّم أوستن أفعال الكلام على أساس قوتها الإنجازية فجعلها على خمسة أصناف:

1- "الحُكميات (verdictives): أو الأفعال اللغوية الدالة على الحُكم وتتمثل في مختلف الأحكام التي يصدرها القضاة والحكام، وغيرهم...

2- التنفيذيات (exercitives): أو الممارسات وهي الأفعال المعبرة عن اتخاذ القرارات، كالتعيين والعزل ونحوها...

3- الوعديات (commissives): وتتمثل فيما يقطعه المتكلم على نفسه من وعود وعهود مثل: أعدُ، ألتزمُ، أضمنُ..

4- السلوكيات (behabitives): وهي أفعال تعبر عن ردود أفعال وسلوكيات نحو: أعتذر، آسف، شكرًا....

5- العرضيات (expositives): وهي الأفعال الدالة على العرض والإيضاح وبيان وجهات النظر

(1) المرجع نفسه، ص64

(2) الطبطبائي، طالب: **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، (الكويت: جامعة الكويت، دت، 1994م)، ص8

(3) نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص45

(4) نحلة، محمود: **نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية**، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، مجلد1، عدد1، إبريل 1999، ص167

(5) المرجع نفسه، ص168.

(وافق، أنكر، استفهم)[1].

وعلى الرغم من أنّ أوستين عمل على هذا التقسيم هادفا لوضع نظرية جامعة لأفعال الكلام، إلا أنّه لم يستطع تحقيق مسعاه؛ لأنّه "خلط بين مفهوم الفعل قسمًا من أقسام الكلام والفعل حدثًا اتصاليًا، ولم يقم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها ودخل في بعض الفئات ما ليس منها"[2]، إضافة إلى ذلك فإنّه "لا يصنف أعمالًا؛ بل يصنف أفعالا"[3] وهو ما يستدعي التعديل والتغيير كلما انتقل من لغة إلى لغة أخرى.

ثمَّ جاء (جون سيرل) وهو أحد تلاميذ أوستن الّذين نضجت على أيديهم نظريّة الأفعال الكلاميّة وبدأت مرحلة جديدة من مراحلها يصحّ أن يصطلح عليها بمرحلة البناء؛ "فقد ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية، قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد قصدية، وأن هذه القواعد يمكن أن تحدد على أسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة"[4].

ملامح تطوير سيرل لنظرية أوستن

ويُذكر أن سيرل استفاد مما أنجزه أوستن وبنى عليه فطوَّر فيه، وقامت على يديه نظرية الأفعال الكلامية بشكلها الواضح والمنتظم، ويمكن إجمال ما فعله فيما يلي:

1- رأى سيرل "أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأنّ للقوة الإنجازية دليلًا يسمى دليل القوة الإنجازية، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة"[5]، ومن أمثلته في اللغة: التنغيم، التلوين الصوتي، النبر، صيغة الفعل.....

2- "الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم؛ بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي"[6].

3- "طوّر سيرل شروط الملاءمة عند أوستين فجعلها أربعة، وطبقها تطبيقًا محكمًا على كثير من الأفعال الإنجازية، وهذه الشروط هي:

- شروط المحتوى القضوي (proposition content)، وهو يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى القضية التي تقوم على مُتحدَّث عنه ومُتحدِّث به) والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، ويتحقق شرط المحتوى القضوي في

(1) بلانشيه، فيليب: **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ترجمة صابر الحبّاشة، (اللاذقية، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007)، ص62 / ويُنظر: نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص70

(2) نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص70

(3) بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ص63

(4) عبد الحق، صلاح إسماعيل: **التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد**، (دار التنوير، بيروت، ط1، 1993م،)، ص206

(5) نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص47

(6) نحلة، المرجع نفسه، ص47

فعل الوعد مثلا إذا كان دالًّا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه.

- الشرط التمهيدي (preparatory): ويتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على إنجاز الفعل؛ لكن لا يكون من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب أن الفعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز.
- شرط الإخلاص (sincerity): ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصًا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.
- الشرط الأساسي (essential): ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل"[1].

وقد أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستن للفعل الكلامي، وجعله يقوم على ثلاثة أسس منهجية[2]، هي:

الغرض الإنجازي / اتجاه المطابقة / شرط الإخلاص

تصنيف سيرل للأفعال الكلاميّة

وقد أنشأ سيرل انطلاقًا من تطويرِه لنظرية أستاذه أوستن تصنيفًا جديدًا للأفعال الكلاميّة، فصارت عنده في خمسة أصناف، هي:

- الإخباريّات (assertives): التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة"[3]، والأفعال المندرجة تحت هذا الصنف كلها قابلة للتصديق والتكذيب، كأنّ تقول لأحدهم (سيقوم بالواجب).
- التّوجيهيّات (directives): ويكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما؛ حيث يجب أن يطابق العالَمُ الكلمات، وحيث تكون الحالة النفسية رغبة وإرادة، نحو قولك: أُخرجْ"[4]، وتسمى الطّلبيّات أو الأوامر أيضًا، "والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئًا في المستقبل، ويدخل في هذا الصنف الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع والدعوة والإذن والنصح؛ بل التحدي أيضا الذي جعله أوستين في أفعال السلوك وكثير من أفعال القرارات عند أوستين تدخل في هذا الصنف"[5]، والمسؤول عن المطابقة هو المخاطَب.
- الالتزاميّات أو الوعديّات (commissives): حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزمًا بإنجاز عمل وحيث يجب أن يطابق العالَمُ الكلماتِ وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية، وقد أخذ سيرل هذا القسم عن أوستين ومثاله: سوف آتي"[6]، والمسؤول عن المطابقة هنا هو المتكلم وقدرته على أداء ما يُلزم نفسه به.

---

(1) نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص49

(2) المرجع نفسه، ص49

(3) بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، مرجع سابق، ص66

(4) المرجع نفسه، ص66

(5) نحلة، محمود: **نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية**، ص177

(6) بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ص66

- الإفصـــاحـات أو الـتـعـبـيريات (Expressives): حيث يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة، وحيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات وحيث يُســند المحتوى خاصـيّة إما إلى المتكلم أو إلى المخاطب، وهذا يوافق إجمالًا السلوكيات في تصنيفية أوستين، ومثال ذلك: أعذرني.

- الـتصـريحـيات أو الإعـلانـيات (Declaratives): حيث يكون الهدف إحداث واقعة، وحيث التوافق بين الكلمات والعالَم مباشـر، دون تطابق، مع تحفّظ المشـروعية المؤسـسـية أو الاجتماعية، ومثال ذلك: أُعلنُ الحرب عليكم"[1]، وهذا يعني أنّ المطابقة مزدوجة فقد تكون من الكلمات إلى العالَم أو من العالَم إلى الكلمات.

فعمل سـيرل على تنقيح ما صـنعه أوسـتن من تصنيف؛ إذ أعاد التصنيف بطريقة تمنع التداخل بين الأفعال، فالفعل (وصف) مثلًا يتداخل عند أوستين بين الأفعال الحكمية والأفعال الممارسية، بالإضافة إلى أنّ الأفعال (تحدى-تجرأ...) التي صنفها أوستين ضمن الأفعال السلوكية يمكن أن نضعها بالأفعال الممارسـية. كما عدَّل أقسـام الفعل الكلامي إلى: أفعال كلامية مباشرة وأفعال كلامية غير مباشرة.

بناءً على ذلك، فقد ارتأى الباحث أن يعتمد تصنيف سيرل للفعل الكلامي في دراسة التوقيعات العربية؛ إذ "تكمن فائدة تحليل فعل الكلام في توضيح أصناف الأشياء التي نستطيع القيام بها عبر الكلمات وتحديد بعض أشـكال اللفظ العرفية التي نسـتعملها لإنجاز أفعال معينة. مع ذلك يتوجب علينا دراسـة تفاعل أكثر توسـعًا لنفهم كيفية إنجاز هذه الأفعال وتفسيرها ضمن مقاماتها"[2].

ومن ثَمّ، فمن الممكن اسـتثمار سـياقات التوقيع تداوليًّا وفق نظرية الفعل الكلامي لِنكوّن صـورة عن كيفية فهم تأثيره في المخاطَب ودفعه لإنجاز أفعال معينة أو تنفيذ مطالب؛ فتصـنيف التوقيعات وفق نظرية الأفعال الكلامية يُسـهم في وضـع الباحث في صُلب العملية التواصلية؛ فتكون القدرة على إخضاع هذه العملية إلى اللغة باعتبارها المسـيطر على حياتنا اليومية.

المبحث الثاني: نظرية الأفعال الكلاميّة في نماذج من التوقيعات

أسلفنا أنّ سيرل قد صنّف الأفعال الكلاميّة بحسَبِ القوّة الإنجازيّة لها في خمسـة أصـناف: الإخباريّات، والتّوجيهيّات، والالتزاميّات، والتّعبيريّات، والإعلانيّات. وقد اقتضى منه هذا التّقسيم أن يقسّم الأفعال الكلاميّة نفسـها داخل الجملة اللّسـانيّة في أربعة أقسام؛ هي: فعل القول، وفعل الإسناد، وفعل الإنشاء، وفعل التأثير.

وبناءً على هذا التّصـنيف، فإنّ البحث سـيمرّ على دراسة نماذجَ من التّوقيعات ضمن الأصناف الخمسة للقوّة الإنجازيّة للفعل الكلاميّ عند سيرل، وسيُحلّل

(1) بلانشـيه، فيليب، **التداولية من أوسـتين إلى غوفمان**، صـ66

(2) يول، جورج: **التداولية**، ترجمة قصـي العتابي، (الرباط، دار الأمان، ط1، 2010م)، صـ96

كلّ توقيع بناءً على تفكيكِه إلى عناصر الأفعال الكلاميّة الأربعة فيه المتمثلة بأفعال القول والإسناد والإنشاء والتأثير، ثمّ سيُدرَس التّوقيع ضمن الشروط الإنجازيّة الّتي اقترحَها سيرل للوقوف على نجاح الجملة من عدمه.

المطلب الأول: الأفعال الكلامية الإخبارية

إنّ الأفعال الكلاميّة الإخباريّة وفق تصنيف سيرل للقوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة تقتضي أن يكون محتوى الجملة قابلًا للتّصديق أو التّكذيب، إلّا أنّ هذا لا يكون دون أن يعمدَ المتكلِّم إلى تزويد جملته بما يدفع المخاطَب إلى تصديق الجملة، أي: "أن يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة"[1].

وتتضمّن الأفعال الإخباريّة أنماطًا مختلفةً من التّعبيرات الّتي يعبّر من خلالها المتكلِّم؛ ومنها: التّصريح، والتأكيد، والاعتزاز، والتذمّر، وغيرها. وقد تأتي لغاياتٍ خطابيّةٍ أخرى من مثل النّصح والرّدع والتّعليق على أمرٍ ما، لكنّ صياغةَ هذه الأفعال تكون صياغةً خبريّةً قابلةً للتّصديق والتّكذيب.

وسنمرّ في هذا المطلب على خمسة نماذج من التّوقعيات الّتي حملت أفعالًا كلاميّة إخباريّة بالتّحليل وفق نظريّة سيرل؛ أمّا **النّموذج الأوّل** فهو توقيعٌ لعليّ بن أبي طالب يجيبُ عن مسألةٍ سأله إيّاها سلمان الفارسيّ عن حساب النّاس في الآخرة، بينما تناول **النّموذج الثّاني** توقيعًا لمعاوية بن أبي سفيان يردّ على وشايةٍ من زياد بن أبيه بعبد الله بن عباس، وتناول **النّموذج الثالث** توقيعًا لعبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفي يوبّخُه على قوّة عبد الرحمن بن الأشعث، وتناول **النموذج الرابع** توقيعًا لعبد الله بن طاهر يعلّق فيه على ما نُمِيَ إليه من فسادٍ في بعض البيوتات، أما **النّموذج الخامس** فقد تناولَ نصيحةً للفيض بن أبي صالح لتائبٍ أرسلَ إليه برقعة.

النموذج الأول: توقيع علي بن أبي طالب إلى سلمان الفارسيّ

- نصّ التّوقيع: "وقّع في كتاب سلمانَ الفارسيّ، وكان يسألُهُ كيفَ يُحاسَبُ النّاسُ يومَ القيامة: يُحاسَبُونَ كما يُرزَقون"[2].
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع بإجابة عليّ بن أبي طالب لسلمان الفارسيّ عن كيفيّة حساب النّاس يوم القيامة؛ ويتضمّن سؤال سلمان الفارسيّ هنا الاستفسارَ عن قدرة الله على حساب النّاس على كثرتِهم وكثرةِ ما كان يحصلُ منهم في الحياة الدُّنيا. فجاءت إجابة علي بن أبي طالب (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "يُحاسبون كما يُرزَقون".

(1) بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ص66

(2) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، (أبو ظبي، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001م)، ص 29.

- فعل الإسناد: يتمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع بالعَلاقة الّتي تربطُ طرفي الخطاب؛ وهما هُنا عليّ بن أبي طالب وسلمان الفارسيّ، وهي علاقةُ معلّمٍ بمتعلّم ومخبرٍ بمستخبر؛ إذ لجأ سلمان الفارسيّ إلى على بن أبي طالب بالسؤال لِما يُعرَف عنه من سَعَةٍ في العلم وقدرةٍ على فكّ مغاليق المسائل العَقَديّة كالمسألة الّتي طرحَها.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في الغايةِ الّتي سعى علي بن أبي طالب إلى تعزيزِها؛ وهي تعميقُ الإيمانِ بقدرةِ الله ـــ تعالى ـــ حسابِ النّاسِ على كَثرَتِهم وكَثرَةِ ما يقَعُ منهم تمامًا كقدرتِهِ على رزقِهِم في الحياة الدُّنيا.

- فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا استُخدِمَ فيه التّشبيه والقياس لتعزيز إقناع سلمان الفارسيّ بقدرة الله على حساب الناس يوم القيامة؛ فشبّه حسابهم -على كثرتهم- برزقهم في الحياة الدُّنيا؛ فكما لم ينقصِ اللهُ من أرزاقِهم شيئًا بحكم كثرتِهم وكثرةِ ما يقعُ من سعيِهم، فإنّه لن ينقصَ شيئًا من حسابهم يوم القيامة. ويتّضح أنّ هذا البناء البلاغيّ للجملة يجعلُ التّعبيرَ غيرَ مباشرٍ؛ إذ إنّ اللجوء إلى التّشبيه والقياس يمثّل وسيلةً إقناعيّةً أوقعَ في النّفس من التّعبير المباشر.

النموذج الثاني: توقيع معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبيه

- نصّ التّوقيع: "وقّع في كتاب زيادِ بن أبيه يُخبرُهُ بطعنِ عبد الله بن عبّاس في خلافته: إنّ أبا سُفيانَ وأبا الفضل كانا في الجاهليّة في مِسْلاخٍ[1] واحد، وذلك حِلفٌ لا يُحِلُّهُ سوءُ أدبِك"[2].

- الأفعال الكلامية في التّوقيع:

- فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في ردّ معاوية بن أبي سفيان على كتابٍ من عامله زياد بن أبيه (وقد ألحقه بنسبه فصار يُدعى زياد بن أبي سفيان) يتضمّن تحريضًا على عبد الله بن عباس بأنّه ينكر خلافة معاوية، فجاءت إجابة معاوية بن أبي سفيان (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "إنّ أبا سُفيانَ وأبا الفضل كانا في الجاهليّة في مِسْلاخٍ واحد، وذلك حِلفٌ لا يُحِلُّهُ سوءُ أدبِك" الّتي تتضمّن إخبارًا ماضويًّا عن علاقةٍ تربطُ بين بني العباس وبني أميّة في الجاهلية تتمثّل في صداقة أبي سفيان بأبي الفضل العباس بن عبد المطلب.

- فعل الإسناد: يتمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع بالعَلاقة الّتي تربطُ طرفي الخطاب؛ وهما هُنا معاوية بن أبي سفيان وزياد بن أبيه، وهي ضمن هذا النّصّ علاقةُ محرّضٍ بمُحَرَّض؛ إذ إنّ محتوى الكتاب من زياد بن أبيه محتوًى تحريضيٌّ يسعى من خلاله إلى بتر أواصر العلاقة بين معاوية وعبد الله بن عبّاس. غير أنّ معاوية خليفةٌ بينما زيادٌ عاملٌ له، ومن ثَمّ فالعلاقة بينهما علاقة أدنى بأعلى.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في سعي معاوية بن أبي سفيان إلى ردع زياد

(1) مِسلاخ: جِلد.

(2) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 31.

بن أبيه ومنعه من الوشـــاية بابن عبّاس والتحريض عليه.

- فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً يتراوح بين عدم المباشرة والمباشرة؛ أما البناء غير المباشـــر فيتمثّل في اســـتحضـــار معاوية لخبَرٍ تاريخيٍّ يوصّف علاقة العبّاسيّين بالأمويّين في الجاهليّة ومدى عمقِها؛ لا ســـيّما بين أبي ســـفيان والعبّاس، وقد استخدم في هذا الإخبار الاستعارةَ التّصريحيّة (كانا في مسلاخٍ واحد)؛إذ حُذفَ المشبّه (وهو الحلف) وصرّح بالمشبّه به (المسلاخ)؛ وذلك لغايةِ إحداثِ تأثيرٍ في نفس زياد بن أبيه وردعه عمّا يرمي إليه من وشـــاية. أمّا البناء المباشـــر للجملة فيتمثّل في قول معاوية: "وذلك حلفٌ لا يُحلُّهُ ســـوءُ أدبِك" الّذي توجّه فيه بصـــيغة مباشـــرة من التّوبيخ لزياد بن أبيه. والتّنويع بين المباشـــرة وعدم المباشـــرة يمثّل تعزيزًا لفعل التأثير في الجملة.

النّموذج الثّـالـث: توقيع عبـد الملـك بن مروان للحجّاج بن يوسف الثّقفيّ

- نصّ التّوقيع: "وقّع في كتـابٍ أتاه من الحجّاج يُخبرُه بقوّة ابن الأشـــعث: بِضَـــعفِكَ قَوِيَ، وبِخُرقِكَ طَلَع"[1]

- الأفعال الكلامية في التّوقيع:

– فعـل القول: يتمثّـل فعـل القول في هـذا التوقيع في ردّ عبد الملك بن مروان على كتابٍ من الحجّاج يخبرُهُ فيه بقوّة عبد الرحمن بن الأشـــعث في ثورته على الأمويّين، فجاءت إجابة عبد الملك بن مروان (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "بِضَـــعفِكَ قَوِيَ، وبِخُرقِكَ طَلَع" الّتي تتضـمّن إخبارًا عن سـبب قوّة ابن الأشـــعث؛ وهو ســـببٌ يعودُ إلى ضـــعف الحجاج الّذي أنيطَ به إخمادُ ثورتِه.

– فعل الإســناد: يتمثّل فعل الإســناد في هذا التّوقيع بالعَلاقة الّتي تربطُ طرفي الخطاب؛ وهما هُنا عبد الملك بن مروان والحجّاج بن يوســـف، وهي ضـــمن هذا النّصّ علاقةُ والٍ بخليفة؛ أي هي علاقة أدنى بأعلى.

– فعل الإنشـــاء: يتمثّل فعل الإنشـــاء في هذا التّوقيع في توبيخ عبـد الملـك بن مروان للحجّـاج والإشـــارة إلى ضـــعفِهِ الّذي يمثّلُ ســـببًا لقوّة ابن الأشعث.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشـــرًا يتوجّه من خلالِه عبد الملك إلى الحجاج بإسناد سبب قوة بن الأشعث وخروجه وسيطرته إلى ضـعفِ الحجّاج وحُمقِه، وقد اسـتخدمَ من أجل قوّة التأثير هنا الطّباق بين "بضـــعفك" و"قوي"، كما اسـتخدمَ التّوازي التّركيبيّ في ركني الجملة: "بِضـعفِكَ قَوِيَ، وبِخُرقِكَ طَلَع"؛ إذ جاءت البنية النّحويّة لكلّ جملة معتمدةً على الابتداء بحرف الجرّ فاســـم المجرور المضاف إلى ضمير متصل. وجليٌّ أنّ الطّباق والتّوازي في التّوقيع أسهما في منحِهِ قوّةً تأثيريّةً تحقّق الغاية من الخطاب؛ وهي توبيخ الحجّاج.

(1) جرار، صـــلاح، والـدروبي، محمـد، **جمهرة توقيعـات العرب**، ص 36.

النّموذج الرّابع: توقيع عبد الله بن طاهر في إفساد بعض البيوتات

- نصّ التّوقيع: "رُفِعَ إلى عبدِ الله بنِ طاهر في إفسادِ بعضِ البُيوتات، فوقّع: إنّ أهلَ البيتِ إذا كَثُروا ففيهمُ الغُرَر والعُرَر"(1)
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في تعليق عبد الله بن طاهر على ما رُفِعَ إليه من أنّ بعض البيوتات قد ظهر فيها فساد، فجاءت إجابتُهُ (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "إنّ أهلَ البيتِ إذا كَثُروا ففيهمُ الغُرَر والعُرَر" الّتي تتضمّن إخبارًا بما يكونُ عليه حالُ العائلاتِ إذا كثُرَت؛ من ظهورِ الصالحين والفاسدين.

– فعل الإسناد: يتمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع بالعَلاقة الّتي تربطُ طرفي الخطاب؛ وهما هُنا عبد الله بن طاهر ومَن شكا إليه من الفساد في بعض البيوتات، وهي ضمن هذا النّصّ علاقةُ شاكٍ بمشكيٍّ له. وفي ظلّ أنّ المشكيّ له هو الأمير، فالعلاقةُ هي علاقة أدنى بأعلى.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في التّهوين من شأن الفساد الواقع في بعض البيوتات وجعله ظاهرةً طبيعيةً تُرَدُّ إلى كثرة أهل البيوتات. ومِن ثَمّ فمن العاديّ أن يظهر فيهم الفساد كما يظهر فيهم الصلاح.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا لتعزيزِ غرضِ التّهوين ممّا رُفِعَ إلى ابن أبي طاهر من شكوى فسادِ بعض البيوتات، وقد اعتمد في هذا البناء على الطّباق بين "الغُرَر" و"العُرَر" الّذي يهدفُ إلى استحضارِ القيمةِ الإيجابيّة في مقابل القيمة السّلبيّة، ومن شأن الطّباق هنا أن يعزّز من فعل التأثير في الجملة.

النّموذج الخامس: توقيع الفيض بن أبي صالح في رقعةِ تائب

- نصّ التّوقيع: "وقّع الفيضُ في وزارتِهِ على ظهرِ رقعةِ تائب: التّوبةُ للمذنبِ كالدّاء للمريض، فإن صحّت توبتُهُ أتمَّ اللهُ شفاءَه، وإن فسُدَت نِيّتُه أدامَ اللهُ داءَه"(2).
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في نُصحِ الفيضِ بن أبي صالحٍ لأحد التّائبينَ وقد أرسل إليه رقعةً بتوبتِهِ نُصحًا إخباريًّا يرشدُهُ فيه إلى أثرِ صدقِ التّوبة على حياة الإنسان، وتمثّل هذا النّصح (وهو فعل القول هنا) بالجملة: "التّوبةُ للمذنبِ كالدّاء للمريض، فإن صحّت توبتُهُ أتمَّ اللهُ شفاءَه، وإن فسُدَت نِيّتُه أدامَ اللهُ داءَه".

– فعل الإسناد: يتمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع بالعَلاقة الّتي تربطُ طرفي الخطاب؛ وهما هُنا الوزيرُ الفيضُ بن أبي صالح والتّائب الّذي أرسلَ إليه الرُّقعَة، وهي علاقةُ ناصحٍ بمستنصح؛ لكن لا يخفى أنّ ثمّة فرقًا في المرتبة بين التائب والوزير الفيض بن

(1) المرجع نفسه، ص 234.

(2) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 275.

أبي صالح، ومن ثَمّ فالعَلاقة أيضًا علاقة أدنى بأعلى.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في نُصح التّائب وحضّه على الصّدق في نيّته من التّوبة.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً غيرَ مباشرٍ قامَ على استخدامِ التّشبيهِ وسيلةً بلاغيّةً تعزّز من فعل الإنشاء وتخلُقُ التّأثيرَ في نفسِ التّائب؛ وذلك عبر استخدام التّشبيه التّمثيليّ؛ إذ شبّه ذنبَ المذنبِ بالداء؛ ثمّ مثّل توبةَ المذنب من ذنبه باستشفاء المريضِ من مرضِه، وجعل النيّة بمثابة الصّدق في هذا الاستشفاء؛ فإن صدقَ التّائبُ شفاهُ الله، وإن كذبَ أدامَ عليه الدّاء. وجليٌّ أنّ هذا البناء غير المباشر عبر استخدام التشبيه يعزّز فعل التأثير في الجملة.

المطلب الثاني: الأفعال الكلاميّة التّوجيهيّة في نماذج من التّوقيعات

إنّ الأفعال الكلاميّة التّوجيهيّة وفق تصنيف سيرل تقتضي جعلَ المخاطب يفعلُ أمرًا ما؛ أي: يجب "أن يطابق العالَمُ الكلمات، وحيث تكون الحالة النفسية رغبة وإرادة، نحو قولك: أُخرجْ"[1]. وتتضمّنُ هذه الأفعال كلّ ما تحملُه الجملة من طلبٍ أو أمرٍ؛ متضمّنًا ذلك طرقَ تعبيرٍ مختلفة؛ كالاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع والدعوة والإذن والنصح"[2] .

وتتضمّن الأفعال التّوجيهيّة أنماطًا مختلفةً من التّعبيرات الّتي يعبّر من خلالِها المخاطِب؛ ومنها: الأمر، والطلب، والاستفهام، والالتماس، والاستجداء، والدّفاع، والدّعوة، والإذن، والتحدّي، والنّصح، وغيرها.

وسنمرّ في هذا المطلب على خمسة نماذج من التّوقعيات الّتي حملت أفعالًا كلاميّة توجيهيّةً بالتّحليل وفق نظريّة سيرل؛ أمّا **النّموذج الأوّل** فهو توقيعٌ من أبي بكر الصديق إلى خالد بن الوليد يوجّهُه إلى خوض معركة دومة الجندل، **والنّموذج الثّاني** هو توقيعٌ لعمر بن الخطاب ينهى فيه بعض عمّاله عن الانتقال إلى قريةٍ خربَةٍ هربًا من الطّاعون، بينما يتضمّن **النّموذج الثالث** توقيعًا لعبد الملك بن مروان يأمر فيه الحجاج بن يوسف بتجنيبه دماء بني عبد المطلب، ويتضمّن **النموذج الرّابع** توقيعًا لعمر بن عبد العزيز يردّ فيه على عاملٍ له في حمص يستأمره في بناء حمص، أما **النموذج الخامس** فهو توقيع مروان بن محمّد إلى نصر بن سيّار يأمرُهُ في حسمِ أمرِ أبي مسلم الخُراسانيّ.

النموذج الأول: توقيع أبي بكر الصدّيق إلى خالد بن الوليد

- نصّ التّوقيع: "كتب إليه خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو، فوقع إليه "ادنُ من الموت توهَب لك الحياة"[3].

(1) بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ص66

(2) نحلة، محمود، **نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية**، ص177

(3) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 25.

- الأفعال الكلامية في التّوقيع:

– فعـل القول: يتمثّـل فعـل القول في هـذا التوقيع في إجابة أبي بكر الصـدّيق على كتابٍ لخالد بن الوليد يســـتأمره أن يخوض معركة دومة الجندل، فجاءت إجابتُهُ (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "ادنُ من الموت توهَب لك الحياة" الّتي تحملُ توجيهًا غيرَ مباشرٍ لخالد بن الوليد بخوض غمار المعركة.

– فعل الإسـناد: يتمثّل فعل الإسـناد في هذا التّوقيع بالعَلاقة الّتي تربطُ طرفي الخطاب؛ وهما هُنا خالد بن الوليد وأبو بكر الصّـــديق، والعَلاقة بينهما عَلاقة والٍ بخليفة؛ أي: علاقة أعلى بأدنى.

– فعل الإنشـاء: يتمثّل فعل الإنشـاء في هذا التّوقيع في حضّ أبي بكر الصـــديق خالد بن الوليد على خوض المعركة وتوجيهه إلى عدم التّراجع؛ وذلك عبر حديثه عن مفارقة الدنوّ من الموت في مقابل الحصول على الحياة.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا يقومُ على اســـتخدام المفارقة في جملة الطّلـب؛ إذ ربطَ أبو بكر بين الـدنوّ من الموت والتحصّل على الحياة وجعل بينهما علاقةً سببيّة، ولا يخفى أنّ هذا أسلوبٌ يعزّز من بنية التأثير في الجملة.

النّموذج الثاني: توقيع عمر بن الخطّاب إلى أحد عمّاله

- نصّ التّوقيع: "كَتَبَ بَعْضُ عُمّالِ عُمَرَ إليه: إنَّ الطّاعونَ قد نَزَلَ بِنا، فإن رأى أميرُ المؤمنينَ أن يأذنَ لنا في إتيانِ قريةٍ خَرِبَة، فوقَّعَ في كتابه: إذا أتيتَ القريةَ الخربةَ فَسَلْها عَن أهلِها"[1].

- الأفعال الكلامية في التّوقيع:

– فعـل القول: يتمثّـل فعـل القول في هـذا التّوقيع في جواب عمر بن الخطاب لـه على طلب أحد عمّاله بالفرار من الطاعون إلى قريةٍ خرِبَة لم ينزل فيها، فجاءت إجابتُهُ (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "إذا أتيتَ القريةَ الخربةَ فَسَـلْها عَن أهلِها" الّتي تحمل توجيهًا غيرَ مباشـــرٍ لعامل عمر بعدم الانتقال إلى القرية.

– فعل الإســـناد: يمثّل فعل الإســـناد في هذا التّوقيع العَلاقـة الّتي تربط طرفَيْ الخِطـاب؛ وهما هُنـا العامل وعمر بن الخطّاب، وهي عَلاقةُ والٍ بخليفة؛ ومن ثَمّ فهي علاقة أدنى بأعلى.

– فعل الإنشـاء: يتمثّل فعل الإنشـاء في هذا التّوقيع في رفضِ عمر بن الخطاب الارتحالَ إلى القرية الخربة وحضّ عـامله على إبقـاء النـاس حيث هم؛ وذلك من خلال تســاؤله عن ماضــي القرية وأهلها الراحلين عنها.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا غير مباشـــر، وذلك عبر تعزيز التأمّل في حال القرية الخربة وأخذِ العبرةِ من فعل الله بها؛ فلو كانَت الحياةُ تُرجى بها لما خلت من أهلها من قبل. وقد جاءَ ضمن الرّفض غيرِ المباشر هذا تضمينٌ من عمر بن الخطاب للآية القرآنية "واســـأَلِ القريةَ الّتي كُنّا فيها" ليؤثّرَ في عاملِه ويلفتَه إلى أنّ هذه القريةَ كانت مأهولةً بالســكّان ثمّ خرِبَت، فلا جدوى من

(1) المرجع نفسه، ص 26.

الانتقال إليها.

النموذج الثالث: توقيع عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي

- نصّ التّوقيع: "وقّع في كتابٍ أتاه من الحَجّاج وقد شكا إليه نفرًا من بني هاشم وحرَّضَه على قتلهم: جنِّبْني دماءَ بني عبد المطَّلب، فإنّ فيها شفاءً من الكَلَب"(1).
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في جواب عبد الملك بن مروان لطلبٍ من الحجاج بقتلِ مجموعةٍ من بني هاشم؛ فجاءت إجابة عبد الملك (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "جنِّبْني دماءَ بني عبد المطَّلب، فإنّ فيها شفاءً من الكَلَب" الّتي حملت توجيهًا مباشرًا إلى الحجّاج بتجنّب ما ينويه كي لا تقع العاقبة المذمومة.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقة الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الحجّاج وعبد الملك بن مروان، والعلاقة بينهما علاقةُ والٍ بخليفة؛ ومن ثَمّ فإنّها علاقة أدنى بأعلى.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء هنا في نهي عبد الملك بن مروان للحجّاج عن الخوض في دماء بني عبد المطّلب؛ وذلك عبر تعليق ما ينوي الحجّاج فعله بالنّتيجة الّتي ستعودُ على الخليفة لما لها من عواقب وعقابيل.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا زاوجَ فيه عبد الملك بين صيغتَيْ المباشرة وغير المباشرة؛ ففي الشّقّ الأوّل منه نهى عبدُ الملكِ الحَجّاجَ عن قتل بني هاشم نهيًا مباشرًا يقوم على فعل الأمر "جنّبني"، ثمّ علّل ذلك باستعارةِ المثل "دماءُ الملوك أشفى من الكلَب"؛ وهو يعني أنّ الملوك لا يَنامُ الناسُ عن ثأرِهم. وهذه المزاوجة بين الصّيغة المباشرة وغير المباشرة جاءت بغرَضِ تعزيز التّأثير على نفس الحجّاج ونهيِهِ عن الخوضِ في دماءِ بني عبد المطّلب.

النموذج الرّابع: توقيع عمر بن عبد العزيز إلى عامله على حمص

- نصّ التّوقيع: "كتَبَ عاملُ حِمْصَ إلى عمرَ بن عبد العزيز يُخبِرُ أنّها احتاجت إلى حِصن، فوقّعَ: حَصِّنْها بالعدل، والسّلام"(2).
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في جوابِ عمر بن عبد العزيز على طلبٍ من عامله بأن يأذن له ببناء حصن في حمص؛ فجاءت إجابة عمر بن عبد العزيز (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "حَصِّنْها بالعدل، والسّلام" الّتي حملت توجيهًا غير مباشرٍ للعامل بعدم بناء الحصن والاستعاضة عنه بتعزيز العدل.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد هنا العَلاقة الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب في التّوقيع؛ وهما هُنا عمر بن عبد العزيز وعامله، وهي عَلاقةُ خليفةٍ بوالٍ، ومن ثَمّ

(1) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 26.

(2) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 43.

فهي علاقةٌ بين أعلى وأدنى.

- فعل الإنشاء: يتمثل فعل الإنشاء في نهيِ عمر بن عبد العزيز عن بناء الحصن ولفت انتباهه إلى أنّ ثمّة ما هو أهمّ من الحصون الماديّة، ويعني بها حصن العدالة الّذي إن حصّن المدينة به فلن تحتاج إلى حصن ماديّ.

- فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا يعزّز فعل الإنشاء الرّامي إلى لفت العاملِ إلى أن التحصين المعنويّ للمدن بالعدالة والإنصاف أهمّ من التّحصينِ الماديّ المتمثّل في الحصون، وقد استخدم عمر بن عبد العزيز لهذه الغاية الاستعارة؛ إذ استعار صفة التّحصين من الحصونِ وألحقَها بالعدل، وهذه صيغةٌ غيرُ مباشرة عزّزت التّأثير على المتلقّي في الجملة.

النموذج الخامس: توقيع مروان بن محمد إلى نصر بن سيّار

- نصّ التوقيع: "كتَبَ نصرُ بنُ سيّار والي خُراسان إلى مروانَ بنِ محمّد بظهور أمرِ أبي مسلم الخُراسانيّ، فوقَّعَ في كتابِه: احسِمْ ذلكَ التَّزَلْزُلَ مِن جِهَتِك"[1].

- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

- فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في ردّ الخليفة مروان بن محمّد على كتابٍ من نصر بن سيّار واليه على خُراسان يخبرُه بظهور أمر أبي مسلم الخُراسانيّ يدعو إلى بني العبّاس، فجاءت إجابة عمر بن عبد العزيز (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "احْسِمْ ذلكَ التَّزَلْزُلَ مِن جِهَتِك" الّتي حملت توجيهًا مباشرًا لنصر بن سيّار بالتصدّي لأبي مسلم من جهتِه وعدم الاعتماد على مدَدِ الخليفةِ في دمشق.

- فعل الإسناد: ويمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقة الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا عامل خُراسان نصر بن سيّار والخليفة الأمويّ مروان بن محمد، وهي عَلاقةٌ بين والٍ وخليفة، أي بين أعلى وأدنى.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء هنا في أمرِ مروان بن محمّد لنصر بن سيّار وتوجيهه لأن يحاربَ أبا مسلم ويشتدّ في أمره دون أن يعتمدَ على الخليفة في شيء.

- فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا يعزّز فعل الإنشاء الرّامي إلى حضّ نصر بن سيار على القتال، وقد جاءَ الأمرُ في صيغةٍ مباشرة تضمّنت استعارةً تصريحيّةً صوّر فيها مروان بن محمد حدَثَ ظهورِ أبي مسلم الخُراسانيّ بـ"التّزلزل"؛ وذلك ليوحي لنصر بن سيّار بخطر أبي مسلم من جهة، وليؤكّد أنّه غيرُ غافلٍ عن عظيم الخطَر القادم من ظهورِه وحمل دعوة العبّاسيّين، ومن شأن هذه الاستعارة أن تؤثّر في نصر بن سيار وتحفّزه على القتال.

المطلب الثالث: الأفعال الكلاميّة الالتزاميّة في نماذج من التّوقيعات

تهدف الأفعال الكلامية الالتزاميّة وفق تصنيف سيرل

(1) المرجع نفسه، ص 50.

إلى جعل المتكلم ملتزمًا بإنجاز عمل على نحو يطابق فيه العالَمُ الكلمات وتكون الحالة النفسيّة الواجبة هي صدق النية، وقد أسلفنا أنّ سيرل طوّر هذا القسم عن عمل أوستن، ومثاله: سوف آتي"[1]. والمسؤول عن المطابقة في هذا النّوع من الأفعال الكلاميّة هو المتكلّم وقدرته على أداء ما يُلزِم نفسَه به.

وتتضمّن الأفعال الالتزاميّة أنماطًا مختلفةً من التّعبيرات الّتي يعبّر من خلالها المخاطِب؛ ومنها: الوعد، والتّهديد، والالتزام، والكفالة، والاستجابة، وغيرها.

وسنمرّ في هذا المطلب على خمسة نماذج من التّوقعيات الّتي حملت أفعالًا كلاميّة التزاميّةً بالتّحليل وفق نظريّة سيرل؛ **النّموذج الأوّل** هو توقيع يزيد بن معاوية لعبد الله بن جعفر في العفو عن جماعة من أهل المدينة، **والنموذج الثاني** هو توقيع عمر بن عبد العزيز لرجل متظلّم من ابنه، أما **النموذج الثالث** فهو توقيع هشام بن عبد الملك لرجل متظلّم، **والنموذج الرابع** هو توقيع لأبي العبّاس السفّاح ردّ فيه مظالم قومٍ أُخِذت بيوتهم، أما **النموذج الخامس** فهو توقيع عبد الله بن علي لمروان بن محمّد يتعهّد فيه بالإحسان إلى حُرَمِه.

النّموذج الأوّل: توقيع يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر

- نصّ التّوقيع: "كتبَ عبدُ الله بن جعفرَ إلى يزيدَ يستوهبُهُ جماعةً من أهل المدينة، فوقَّعَ إليه: مَنْ عَرَفْتَ فهُوَ آمِن"[2].

- الأفعال الكلامية في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثل فعل القول في هذا التوقيع في ردّ يزيد بن معاوية على كتابٍ من عبد الله بن جعفر يسأله فيه الإفراجَ عن جماعةٍ من أهل المدينة، فجاءت إجابة يزيد (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "مَنْ عَرَفْتَ فهُوَ آمِن" تحملُ التزامًا وتعهُّدًا بالإفراج عن كلّ من يعرفه عبد الله بن جعفر.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقة الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا عبد الله بن جعفر ويزيد بن معاوية، والعَلاقة بينهما عَلاقة قَرابَةٍ في البيتِ القُرَشيّ.

– فعل الإنشاء: يتمثل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في تعهّد يزيد والتزامه بأن يُطلِقَ سَراحَ كلَّ من يعرفُهُم ابنُ جعفر.

– فعل التأثير: بُنِيَ فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا قامَ على أسلوب الشّرط الّذي حمل تعهُّدًا من يزيد يربو على طلب ابن جعفر؛ فقد كان طلبُ ابن جعفر بالعفو عن جماعة من أهل المدينة، فجاء ردّ يزيد بالتعهّد في إطلاق كلّ من يعرفهم ابن جعفر ممّن هم محبوسون لديه، ومن الواضح أنّ هذا الردّ يهدف إلى التأثير على ابن جعفر عبر طمأنتِه وإشعارِه بمنزلته الّتي لا يقدر معها يزيد إلا أن يستجيبَ للطلبِ ويزيدَ عليه.

النّموذج الثّاني: توقيع عمر بن عبد العزيز إلى رجل متظلم من ابنه

(1) بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ص66

(2) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 50.

- نصّ التوقيع: "وقَّعَ فِي رُقعَةِ رَجُلٍ تَظَلَّمَ مِنَ ابْنِه: "إِنْ لَمْ أُنْصِفْكَ مِنْهُ، فأنا ظلمتُك"[1] .
- الأفعال الكلامية في التوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في ردّ عمرَ بن عبد العزيز على رقعة رجلٍ يتظلّم من عُقوقِ ابنِه له، فجاءت إجابة عمر بن عبد العزيز (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "إِنْ لَمْ أُنْصِفْكَ مِنْهُ، فأنا ظلمتُك" الّتي حملت تعهّدًا والتزامًا من عمر بإنصاف الرجل من مظلمته.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذه الجملة العلاقة الّتي تربطُ بين طرفي الخطاب في التّوقيع؛ وهما هنا عمر بن عبد العزيز والرّجل المتظلّم، وهي علاقةُ حاكمٍ بمحكوم ومتظلِّمٍ بمتُظَلَّمٍ له.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في التزام عمرَ بنِ عبد العزيز بإنصاف الرَّجُل وردّ مظلوميّته وتعليق مظلمته بنفسه.

– فعل التأثير: بُنِيَ فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا مبنيًّا بصيغةٍ شرطيّة علَّقَ من خلالها عمر بن عبد العزيز الظّلم بنفسِه –بوصفِهِ خليفةً– في حال لم يُنصِفِ الرّجل المظلوم من ابنه؛ ومن ثَمّ فقد أشركَ نفسَهُ في الظلمِ –بما أنّه الحاكم– في حال لم يفصِل بين هذا الرّجل وابنِه العاقّ، ومن الجليّ أنّ هذه الصّيغة أسهمت في تأمين الرّجل نفسيًّا وطمأنته على نفسِه من ظلم ابنِه له وعقوقِه.

النّموذج الثالث: توقيع هشام بن عبد الملك في رقعة رجل متظلم من العامة

- نصّ التّوقيع: "وقَّعَ في رُقعَةِ متظلِّمٍ من العامَّة: أتاكَ الغَوْثُ إِنْ كُنْتَ صادِقًا، وحلَّ بِكَ النّكالُ إِنْ كُنْتَ كاذِبًا، فتقدَّمْ أو تأَخَّرْ"[2].
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثل فعل القول في هذا التوقيع في ردّ الخليفة هشام بن عبد الملك على رقعة رجلٍ متظلّم من العامة ذكَرَ فيها قصّتَه، فجاءت إجابة هشام بن عبد الملك (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "أتاكَ الغَوْثُ إِنْ كُنْتَ صادِقًا، وحلَّ بِكَ النّكالُ إِنْ كُنْتَ كاذِبًا، فتقدَّمْ أو تأَخَّرْ" الّتي حملت التزامًا من هشام لا بردّ مظلوميّة الرّجل، بل بإنصاف العدالة في القضية بحسَب صدق الرّجل أو كذبه.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقة الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الخليفةُ هشام بن عبد الملك معَ أحدِ أفرادِ رعيّتِهِ المتظلّمين، وهي علاقة حاكمٍ بمحكوم ومتظلِّمٍ بمتظلَّمٍ له.

– فعل الإنشاء: يتمثل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في التزامِ هشام بن عبد الملك بإنصافِ الرّجل في حالِ كان صادقًا وعقابه في حالِ كان كاذبًا.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا يقوم على استخدام التّرغيب والتّرهيب والتّركيز على فحوى القضيّة لا على صاحبها؛ فاستُخدِمَت صيغة الشّرط للتّرغيب بالغوث إن كان

(1) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 43.

(2) المرجع نفسه، ص 47.

الرّجل صادقًا، والتّرهيب بالنّكال إن كان كاذبًا، ولا يخفى أنّ في هذه الصّيغة اللغويّة تأثيرًا على المخاطَب يتمثّل في المراوحة بين ترغيبه وترهيبه، كما أنّ فيها تخييرًا له بالعودة عن رفع المظلمة عبر قوله في نهاية التّوقيع: "فتقدّم أو تأخّر".

النموذج الرابع: توقيع أبي العباس السفّاح إلى جماعة من أهل الأنبار

- نصّ التّوقيع: "(كتَبَ إليه جماعةٌ من أهل الأنبار يذكرون أنّ منازلهم أُخِذَت منهم وأُدخِلَت في البناءِ الّذي أمرَ به، ولم يُعطَوْا أثمانَها، فوقّع: هذا بناءٌ أُسِّسَ على غيرِ تَقوى، ثمّ أمرَ بدفعِ قِيَمِ منازلِهم إليهم"[1]

- الأفعال الكلامية في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في ردّ أبي العبّاس السّفاح على رسالة من جماعة من أهل الأنبار يتظلّمون فيها ويذكرون أنّ منازلَهم قد أُخِذَت في بناءٍ أمرَ به ولم يعوّضوا عنها، فجاءت إجابة السّفّاح (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "هذا بناءٌ أُسِّسَ على غيرِ تَقوى" الّتي حملت التزامًا من السفّاح بردّ مظلمتهم إليهم.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقة التي تربط طرفي الخطاب؛ وهما هنا المتظلمونَ من أهل الأنبار والخليفة أبو العباس السفاح، والعلاقة بينهم علاقة خليفة برعيّته ومتظلّمين بمتظلَّم إليه.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التوقيع في التزام السفّاح بإجابة طلب القوم وتعويضهم عما فقدوه إثرَ بنائه.

– فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا يقومُ على التّناصّ مع الآية القرآنية ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[2]، ونلحظ أنّ الالتزام هنا جاء عبر جملةٍ خبريّةٍ متناصّةٍ مع القرآن الكريم تحمل معنى الالتزام والتعهّد، ومن شأن ذلك أن يؤثّر في المتلقّين ويزيد من ثقتهم بوفاء السفّاح بعهدِه؛ إذ شبّه بناءَه القائمَ على ظلمهم بالبناء المؤسّس على غير تقوى.

النموذج الخامس: توقيع عبد الله بن علي إلى مروان بن محمد

- نصّ التّوقيع: "لَمّا أَيِسَ مروانُ بنُ محمّدٍ مِن أمرِه، كتَبَ إلى عبد الله بن عليّ يوصيهِ بالحُرَم، فوقّع في الجواب: الحقُّ لنا في دمِك، وعلينا في حُرَمِك"[3].

- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التوقيع في ردّ عبد الله بن عليّ قائد جيوش العبّاسيّين على رسالة من الخليفة الأمويّ الأخير مروان بن محمّد أيِسَ فيها من نفسِه فأوصى بحُرَمِه من بعدِه ألّا

(1) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 54.

(2) التوبة:109

(3) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 211.

تُمَسّ أو تُسبَى أو يحدثَ لها أيُّ مكروه، فجاءت إجابة عبد الله بن عليّ (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "الحقُّ لنا في دمِك، وعلينا في حُرَمِك" الّتي حملت التزامًا من عبد الله بن عليّ بالحِفاظ على حُرَم مروان لكن حملت في الوقت نفسه التزامًا بسفكِ دمِه.

- فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقة التي تربط طرفي الخطاب؛ وهما هنا مروان بن محمّد وعبد الله بن عليّ، والعلاقة بينهما علاقة مستعطِفٍ بمستعطَف وسائلٍ بمسؤول.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التوقيع في التزام عبد الله بن عليّ بالحفاظ على حُرَم مروان معَ التزامٍ آخرَ بسفكِ دمِه؛ بحكم أنّه الخليفة الأخير من خلفاء بني أميّة أعداء الدّعوة العبّاسيّة.

- فعل التأثير: بُني فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً بلاغيًّا يقومُ على المقابلة الّتي تحقّق رُكنَي الالتزام في التّوقيع؛ فقد قابل عبد الله بن عليّ بين "الحقّ لنا" و"الحقّ علينا" في ركني الجملة؛ متعهّدًا في الرّكن الأوّل بسفك دم مروان، وفي الرّكن الثّاني بالحفاظ على حُرَمه. ولا يخفى ما في هذا التّوقيع من تأثيرٍ على المتلقّي يتمثّل في مزج الوعيد بالطمأنة؛ فمن ناحيةٍ يخوّف عبد الله بن عليّ مروان على نفسه، ومن ناحية أخرى يطمئنه على حُرَمِه.

المطلب الرّابع: الأفعال الكلاميّة التّعبيريّة في نماذج من التّوقيعات

تهدف الأفعال الكلامية التّعبيريّة وفق تصنيف سيرل إلى تمكين المتكلم من التّعبير عن حالته النّفسية مع وجود النّيّة الصّادقة لذلك، وهنا لا يُطابِق العالَمُ المتكلّم بقدر ما يُسند المحتوى للمتكلّم، وهذا يوافق السلوكيات في تصنيفية أوستين[1].

وتتضمّن الأفعال التّعبيريّة أنماطًا مختلفةً من التّعبيرات الّتي يعبّر من خلالها المخاطِب؛ ومنها: التعجّب، والاندهاش، والاستغراب، والشّعور بالمفارقة، فضلًا عن المشاعر المختلفة الّتي تكتنزُها الأفعال الكلاميّة في الجُملة؛ من مثل الحزن والسّرور، والغضَب، والحِقد، وغيرها.

وسنمرّ في هذا المطلب على خمسة نماذج من التّوقعيات الّتي حملت أفعالًا كلاميّة تعبيريّة بالتّحليل وفق نظريّة سيرل؛ **النّموذج الأوّل** هو توقيعٌ لعليّ بن أبي طالب للأشتر النّخعيّ يعلّق فيه على أمرٍ ساءَه منه، **والنّموذج الثّاني** هو توقيعٌ من سليمان بن عبد الملك يعلّق على كتابٍ من أخيه مسلمة بن عبد الملك يذكرُ فيه انتصاراتِه، أما **النّموذج الثّالث** فهو توقيع عمر بن عبد العزيز على قصّة رجلٍ ولّاه الصّدقات وكان ذميمًا ومعَ ذلكَ أحسنَ وعدل، **والنّموذج الرّابع** هو توقيعٌ لمروان بن محمّد يعلّق فيه على قصّة غرقِ قحطبةَ وانتصارِ جيشِه على ابن هُبيرَةَ في الوقتِ نفسه، وأخيرًا يتناولُ **النموذج الخامس** توقيعًا لوزير المهدي معاوية بن عبيد الله لرجلٍ يعتذرُ ولا يُحسنُ التّعبيرَ في الاعتذار.

النّموذج الأوّل: توقيع علي بن أبي طالب للأشتر النّخعيّ

- نصّ التّوقيع: "وقّعَ في كتابٍ جاءَه من الأشتر النخعيّ فيه بعضُ ما يكرَه: مَنْ لكَ بأخيكَ

(1) بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، صـ66

كلِّه؟!"[1]

- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في ردّ علي بن أبي طالب على كتابٍ من الأشتر النّخعيّ فيه ما يكرهُهُ عليّ، فجاءت إجابة عليّ بن أبي طالب –وهي فعل القول هنا– بالجملة: "مَنْ لَكَ بأخيكَ كلِّه؟!" الّتي تحملُ تعبيرًا عن العتاب وتسلية النّفس عن هفوات الأصدقاء.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا عليّ بن أبي طالب والأشتر النّخعيّ، والعَلاقة بينهما عَلاقة صداقةٍ وأخوّة، ولا أدلّ عليها من كلمة "أخيك" في التوقيع.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في الانفعال النّفسيّ تجاهَ موضوع الكتاب من الأشتر النّخعيّ إلى عليّ بن أبي طالب الّذي قادَه إلى التّعبير بالقول: "مَنْ لكَ بأخيكَ كلِّه؟!."

– فعل التأثير: بُنِيَ فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً غيرَ مباشرٍ فيه إضمارٌ للعتابِ وتسليةٌ للنفس واعتذارٌ للأشتر النّخعيّ على هفوته في خطاب عليّ بن أبي طالب، ونلحظ أنّ صياغة التّوقيع حملت كلمة "أخيك" الّتي تُسهِمُ في تهدئة نفس الأشتر وعتابه في آن، وكلّ ذلك في صيغةٍ غير مباشرة.

النّموذج الثّاني: توقيع سليمان بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك

- نصّ التّوقيع: "وَرَدَ عليهِ كتابُ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ من الصَّائِفَةِ يَذْكُرُ أَنَّهُ بَلَغَ ما لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَد، وَما كانَ مِنْ حُسْنِ الْأَثَرِ فِي بِلادِ الرُّوم، فَوَقَّعَ فِي كتابِهِ: ذاكَ بِاللهِ لا بِمَسْلَمَة"[2].

- الأفعال الكلامية في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في ردّ سليمان بن عبد الملك على كتابٍ من أخيه مسلمةَ بن عبدِ الملكِ الّذي كان قائدًا للجيش يذكر فيه حُسنَ بَلائِهِ في حَرْبِ الرُّوم، فجاءت إجابةُ سليمان (وهي فعل القول هنا) بالجملة: "ذاك باللهِ لا بِمَسْلَمَة" الّتي حملَتْ انفعالًا نفسيًّا فيه عتابٌ لمسلمةَ على حسنِ اعتزازِهِ بنفسِه وردٌّ للنّصر إلى موئله الأصليّ المتمثّل في توفيق الله سبحانه وتعالى.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا مسلمَةُ بنُ عبدِ الملك وسليمان بن عبد الملك، والعَلاقة بينهما عَلاقة قائدٍ بمقُودٍ أكثر من كونها علاقة أخٍ بأخيه؛ إذ إنّ سياق التّوقيع يأتي ضمن شؤون الدّولة وإنجازاتها العسكريّة.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في الانفعال النّفسيّ من قبل سليمان بن عبد الملك تجاهَ فخرِ أخيه مسلمةَ بن عبد الملك بما أنجزَهُ في الحرب، وفي الوقت نفسه يحمل التّوقيع عتابًا لمسلمة على فخرِه بنفسِه.

– فعل التأثير: بُنِيَ فعلُ التّأثير في هذا التّوقيع

(1) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 29.

(2) المرجع نفسه، ص 40.

بناءً مباشرًا اعتمدَ على صيغةِ الإثبات في الجزء الأول من الجملة "ذاك بالله" ثمّ النّفي في الجزء الآخر منها "لا بمسلمة"، وذلك للتأثير على مسلمةَ وردِّهِ عن كبرِهِ وظنِّهِ بأنّ حسن البلاء في الحرب مردُّهُ إلى نفسِهِ وإلى قدرتِه على القيادة.

النّموذج الثّالث: توقيع عمر بن عبد العزيز إلى رجلٍ ذميمٍ عدلَ في الصّدقات

- نصّ التّوقيع: "وَقَّعَ إلى رَجُلٍ وَلّاهُ الصَّدَقات، وكانَ ذَمِيمًا، فَعَدَلَ وأَحْسَن:)ولا أَقُولُ لِلَّذينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُم لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا﴾[1].
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في تعليق عمر بن عبد العزيز على عدلِ رجلٍ ذمِ الخِلقَة استطاعَ القِيامَ على الصَّدَقات والإحسان فيها، فجاء تعليق عمرَ بن عبد العزيز –وهو فعل القول هنا– اقتباسًا للآية القرآنيّة الكريمة: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾[2].

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقة الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا عمرُ بنُ عبد العزيز وعاملُهُ ذميمُ الخِلْقَةِ حَسَنُ الخُلق، والعَلاقة بينهما عَلاقة والٍ بخليفة كما هو واضح.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في الانفعال النّفسيّ تجاهَ قدرةِ هذا الرّجل الذّميم على أداءِ الأمانةِ وتحقيقِ العدل وإقامة الإحسان.

– فعل التأثير: بُنيَ فعلُ التأثير في هذه الجملة بناءً غيرَ مباشرٍ عبّرَ من خلالِه عمرُ عن انفعالِهِ النّفسيّ تُجاه هذه المفارقةِ مقتبسًا آيةً قرآنيةً هي: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾[3]. ومن الجليّ أنّ في اقتباس هذه الآية خدمةً للتّعبير عن حالةِ المفارقةِ وزيادةً في التأثير.

النّموذج الرّابع: توقيع مروان بن محمّد لابن هُبيرَة

- نصّ التّوقيع: "كَتَبَ إليهِ ابنُ هُبَيْرَةَ أنَّ فَحْطَبَةَ قَدْ غَرِق، وَأَنَّهُ واقَعَ أَصْحابَهُ فهُزِم، فوقَّع: هذا واللهِ الإدبار، وَإِلَّا فَمَنْ رَأَى مَيْتًا هَزَمَ حَيًّا؟!"[4]
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في تعليق مروان بن محمّد على خبرٍ أرسلَه عاملُه ابنُ هبيرةَ يروي انتصارَ قحطبةَ (وهو أحد قادة بني العبّاس) على جيشِ ابن هُبيرَة معَ أنّه غَرِقَ هُو ولم يُدرِك النّصر، فجاء تعليق مروان بن محمّد على الخبَر (وهو فعل القول هنا) بالجملة: "هذا واللهِ الإدبار، وَإِلَّا فَمَنْ رَأَى مَيْتًا هَزَمَ حَيًّا؟! "

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا ابنُ هُبَيرة قائد الجيش والخليفة مروان بن محمّد، والعلاقةُ بينهما علاقةُ والٍ بخليفة وقائدٍ بمقود.

(1) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 42.

(2) هود: 31

(3) هود: 31

(4) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 51.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في الانفعال النّفسيّ الّذي أبداهُ مروانُ بن محمّد تجاهَ موتِ "قحطبة" وانتصارِه ونجاةِ "ابن هُبيرة" وانهزامه، فجاءَ النّصّ تعبيرًا عن غرابةِ المفارَقَة والغضب في آن.

- فعل التأثير: بُنِيَ فعلُ التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا راوحَ من خلاله مروان بن محمّد بين أسلوبي الخبر والإنشاء؛ إذ بدأ التّوقيع بالانفعال النّفسيّ المعبّر عن الغضب والمفارقَة فقال "هذا واللهِ الإدبار" وقد استخدَمَ القسَمَ ليقوّيَ من تأثير الجملة بما تحملُه من انفعالٍ نفسيّ، ثمّ استخدَمَ الإنشاء وأسلوبَ الاستفهام الاستنكاريّ عبر قوله: "وَإِلَّا فَمَنْ رَأَى مَيْتًا هَزَمَ حَيًّا؟!". وجليٌّ أنّ في هذه المراوحة بين الخبر والإنشاء وفي استخدام الاستفهام الاستنكاريّ حمولةً تأثيريّةً عالية تصفُ الانفعال النفسيّ وتوبّخُ عاملَه ابن هبيرة في آنٍ واحد.

النموذج الخامس: توقيع وزير المهدي معاوية بن عبيد الله لرجلٍ لا يُحسن الاعتذار

- نص التّوقيع: "كَتَبَ إليهِ رجلٌ يعتذرُ ولا يُحسِن، فوقّعَ في كتابه: ما رأيتُ عذرًا أشبَهَ باستئنافِ ذنبٍ من هذا!"[1].

- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

- فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في تعليق الوزير معاوية بن عبيد الله على رسالَةِ رجلٍ في الاعتذار غيرِ مجوّدةٍ ولا يُحسنُ صاحبُها التّعبير، فجاء ردّ معاوية بن عبيد الله (وهو فعل القول هنا) بالجملة: "ما رأيتُ عذرًا أشبَهَ باستئنافِ ذنبٍ من هذا!" الّتي حملت تعجّبًا من ضعف الرّجل في الإنشاء على نحوٍ يزيدُ من ذنبِهِ ولا يغفرُه؛ إذ من شأن الاعتذار السّيّئ أن يستأنفَ الذّنب لا يلغيه.

- فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الوزير معاوية بن عبيد الله والرّجل المعتذِر، والعلاقةُ بينهما علاقةُ معتذِرٍ بمعتَذَرٍ إليه.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في الانفعال النّفسيّ الّذي أبداهُ الوزير معاوية بن عبيد الله تجاهَ ضعف التّعبير لدى الرّجل المعتذِر وكونه يستأنف ذنبه بدلًا من أن يحاول محوَه.

- فعل التأثير: بُنِيَ فعلُ التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا استخدَمَ من خلالِه الوزيرُ عبيد الله بن معاوية المفارقَةَ الّتي اعتمدت على الطّباق بين "العُذر" و"الذّنب" والموازنةَ بينهما في رسالة الرّجل، وهو تعبيرٌ ذو صِبغةٍ أدبيّةٍ تحملُ حمولةً انفعاليّةً اندهاشيّةً كما هو واضح.

المطلب الخامس: الأفعال الكلاميّة الإعلانيّة في نماذج من التّوقيعات

تهدف الأفعال الكلامية الإعلانيّة وفق تصنيف سيرل إلى إحداث واقعةٍ ما، وفيها يكون التوافق بين الكلمات والعالَم مباشرٌ دون تطابق، مع تحفّظ المشروعية المؤسسية أو الاجتماعية، ومثال ذلك:

(1) المرجع نفسه، ص 274.

أُعلنُ الحرب عليكم"[1].

وتتضـمّن الأفعال التّعبيريّة أنماطًا مختلفةً من التّعبيرات الّتي يعبّر من خلالها المخـاطِـب؛ ومنهـا: الأمر، والنّهي، والسّـماح، والمنع، والإيقاف، والاسـتئناف، وغيرها.

وسـنمرّ في هذا المطلب على خمسـة نماذج من التوقيعات الّتي حملت أفعالًا كلاميّة تعبيريّة بالتّحليل وفق نظريّة سيرل؛ **النّموذج الأوّل** هو توقيع يزيد بن عبد الملك إلى صـاحب المدينة، **والنموذج الثاني** هو توقيع زياد بن أبيه إلى عامله في الكوفة، **والنموذج الثالث** هو توقيع عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر في والٍ له اسـتعفى، **والنموذج الرابع** هو توقيع طاهر بن الحُسـين بن مصـعب الخُزاعيّ في قصّـة لصّ، **والنموذج الخامس** هو توقيع يحيى بن خالد البرمكيّ في قصّة رجلٍ استحقّ القتل.

النّموذج الأوّل: توقيع يزيـد بن عبـد الملـك إلى صاحب المدينة

- نصّ التّوقيع: "وقَّعَ إلى صـاحبِ المدينَة: "عَثَرْتَ فَاسْتَقِل"[2].
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعـل القول: يتمثّـل فعـل القول في هـذا التّوقيع في تعليق يزيد بن عبد الملك على إسـاءةِ صـاحبِ المدينةِ في عملِه، فجاء ردّ يزيد (وهو فعل القول هنا) بالجملة المكثّفة: "عَثَرْتَ فاستقِل."

– فعل الإسـناد: يمثّل فعل الإسـناد في هذا التّوقيع العَلاقة الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الخليفةُ يزيدُ بن عبد الملك وعاملُه على المدينة، والعلاقةُ بينهما علاقةُ والٍ بخليفة؛ أي: إنّها علاقةٌ بين أعلى وأدنى.

– فعل الإنشـاء: يتمثّل فعل الإنشـاء في هذا التّوقيع في إعلان يزيد بن عبد الملك خلعَ هذا العامل وإعفاءَه من منصبِهِ لأنّه عثَر وأساء.

– فعل التأثير: بُنِيَ فعل التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا مكثّفًا؛ إذ تكوّن الإعلان من كلمتين هما سـببٌ ونتيجة؛ فالسـببُ هو العَثْرَةُ والنّتيجةُ هي الاستقالة، وقد استُعينَ في هذا الإعلان بالاستعارة؛ إذ صـوّر يزيد الإسـاءةَ في العمل بالعثرة، ثمّ صـوّر العزل بالاسـتقالة الّتي هي النّهوض من العثرة، ومن المفيد أن نشـير إلى أنّ كلمة "اسـتقال" تطوّرت عن هذا المعنى[3] .

النّموذج الثّاني: توقيع زياد بن أبيه إلى عامله على الكوفة

- نصّ التّوقيع: "وقّعَ إلى عاملِهِ على الكوفَة: أمِطِ الحُدودَ عَنْ ذَوِي المروءات"[4].
- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعـل القول: يتمثّـل فعـل القول في هـذا

(1) بلانشـيه، فيليب، **التداولية من أوسـتين إلى غوفمان**، ص66

(2) جرار، صـلاح، والـدروبي، محمـد، **جمهرة توقيعـات العرب**، ص 45.

(3) انظر: معجم الـدوحـة التّـاريخيّ، مـادة اسـتقـال، https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%84

(4) جرار، صـلاح، والـدروبي، محمـد، **جمهرة توقيعـات العرب**، ص 203.

التّوقيع في أمرِ الوالي زياد بن أبيه لعامله على الكوفة بعدم إقامة الحدود على مَن عُرِفُوا بالمروءة، وقد تبدّى هذا الأمر (وهو فعل القول هنا) بالجملة: "أمِطِ الحُدودَ عَن ذَوِي المروءات" الّتي حملت طابعًا إعلانيًّا عامًّا تُسقَطُ فيه الحدود عن ذوي المروءات.

- فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الوالي زياد بن أبيه وعامله على الكوفة، والعلاقةُ بينهما علاقةُ والٍ بعاملٍ له.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في إعلان زياد بن أبيه إسقاط الحدود عمّن عُرِفَ بمروءَتِه.

- فعل التأثير: بُنِيَ فعلُ التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا استخدَمَ من خلالِه زياد بن أبيه صيغة الأمر "أمِطِ الحُدودَ"، لكنّه في الوقتِ نفسِهِ وظّفَ عبارة "ذوي المروءات" ليعزّز من وقعِ الإعلان وليجعل الناسَ تستكثر من أفعال المروءة الّتي —في قانون زياد– قد تُسقِطُ الحدود.

النّموذج الثّالث: توقيع عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر في والٍ له استعفى

- نصّ التّوقيع: "استعفى رجلٌ من ولاةِ عبيدِ اللهِ بن عبد الله بن طاهر، فوقّع في قصّته: يُعفى ولا يُستكفى، ويُنفى إلى يافا"[1].

- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

- فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في أمرِ الأمير عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بنفي أحد ولاته الّذين استعفَوْا من الخدمة بعد أن قبلَ طلبَه بإعفائه، وقد تبدّى هذا الأمر (وهو فعل القول هنا) بالجملة: "يُعفى ولا يُستكفى، ويُنفى إلى يافا" الّتي حملت طابعًا إعلانيًّا عامًّا يقبلُ فيه ابنُ طاهر إعفاء الرّجل من خدماتِه، لكنّه يُعلِنُ في الوقتِ نفسَه نفيَهُ إلى مدينةِ يافا.

- فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الأمير عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ووالِيه الّذي استعفى من الخدمة، والعلاقةُ بينهما علاقةُ أميرٍ بوالٍ له.

- فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في إعلان عبيد بن الله بن عبد الله بن طاهر قَبول إعفاء الرّجل من خدمته وفي الوقتِ نفسه نفيَه إلى يافا عقوبةً له.

- فعل التأثير: بُنِيَ فعلُ التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا استخدَمَ من خلالِه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أسلوبًا راوح فيه بين قَبول طلب الوالي المستعفي وإعلان نفيه إلى يافا في وقت واحد. ولا يخفى أنّ في هذه الصّياغة الإعلانيّة المزدوجة تعريضًا غير مباشر بسيرةِ هذا الوالي الّذي لو لم يستعفِ بنفسِه لأعفاه الأمير؛ بدليل إعلان عقوبته في النّفي إلى يافا.

النّموذج الرّابع: توقيع طاهر بن الحُسين بن مصعب الخُزاعيّ في قصّة لصّ

- نصّ التّوقيع: "وقّعَ في قصّةِ لصٍّ: يُنفَّذُ

(1) المرجع نفسه، ص 247.

حكمُ اللهِ فيه"[1].

- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في أمرِ الأمير طاهر بن الحُسين بن مصعب الخُزاعيّ بإقامة حكم الله في أحد اللصوص، فجاء تعليقُهُ (وهو فعل القول هنا) بالجملة: "يُنفّذُ حكمُ الله فيه" الّتي حملت طابعًا إعلانيًّا يأمرُ بتنفيذ حكم الله في هذا اللّصّ.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الأمير طاهر بن الحُسين ومَن رفَعَ قصّةَ اللّص إليه الّذي قد يكونُ من ذويه رغبةً منه بالعفو عنه[2]، والعلاقةُ بينهما علاقةُ مستعطِفٍ بمستعطَف.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في إعلان طاهر بن الحسين إقامة حكم الله في اللصّ ورفض الشّفاعة فيه.

– فعل التأثير: بُنِيَ فعلُ التأثير في هذا التّوقيع بناءً مباشرًا استخدَمَ من خلالِه طاهر بن الحُسين الجملةَ المكثّفةَ القصيرة "يُنفَّذُ حكمُ اللهِ فيه" الّتي جاءت قاطعةً وُوظّف فيه لفظ الجلالة "الله" حتّى يعفيَ الأميرُ نفسَه من مسؤوليّة عدم الشّفاعة في اللصّ، وجليٌّ أنّ إسناد العقوبة إلى حكم الله لا إلى حكم الأمير فيها جانبٌ تأثيريٌّ قويٌّ يعزّز من موقف الأمير الرّافض للشّفاعة ويؤثّر في كلّ من يسترحمُه في هذا اللّصّ.

النّموذج الخامس: توقيع يحيى بن خالد البرمكيّ في قصّة رجلٍ استحقّ القتل

- نصّ التّوقيع: "وقّعَ في أمرِ رجلٍ استحقّ القتل: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3] [4].

- الأفعال الكلاميّة في التّوقيع:

– فعل القول: يتمثّل فعل القول في هذا التّوقيع في أمرِ الوزير يحيى بن خالد البرمكيّ في تنفيذ حكم القِصاص في رجلٍ استحقّ أن يُقتَل، فجاء تعليقُهُ (وهو فعل القول هنا) بالآية القرآنيّة: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[5] حملت طابعًا إعلانيًّا يأمرُ بتنفيذ حكم الله في هذا اللّصّ عبر التّذكير بفحوى الآية القرآنية.

– فعل الإسناد: يمثّل فعل الإسناد في هذا التّوقيع العَلاقةَ الّتي تربط طرفَيْ الخِطاب؛ وهما هُنا الوزير يحيى بن خالد البرمكيّ ومَن رفَعَ قصّةَ القاتل إليه الّذي قد يكونُ من ذويه رغبةً منه بالعفو عنه، والعلاقةُ بينهما علاقةُ مستعطِفٍ بمستعطَف.

– فعل الإنشاء: يتمثّل فعل الإنشاء في هذا التّوقيع في إعلان يحيى البرمكيّ إقامة حكم الله في

(1) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 229

(2) يغلبُ على الرّقاع الّتي تُرفَع للخلفاء والأمراء أن تكون تظلّمًا أو استرحامًا أو طلبًا في العفو كما تدلّ على ذلك مدوّنة التّوقيعات.

(3) جرار، صلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعات العرب**، ص 277.

(4) البقرة: 179

(5) البقرة: 179

القاتل ورفض الشّـــفاعة فيه عبر الإحالة إلى الآية القرآنية.

- فعل التأثير: بُنِيَ فعلُ التأثير في هذا التّوقيع بناءً غيرَ مباشـــرٍ اســـتخدَمَ من خلالِه يحيى البرمكيّ الآيةَ القرآنيّةَ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] الّتي جاءت لتقطعَ كلّ شـفاعة لأنّها حكمٌ من اللهِ تعالى ولا يســـتطيعُ الوزيرُ ولا حتّى الخليفةُ أن يتجـاوزَه، وجليٌّ أنّ تأثيرَ الآيـة المرفقـة في رفض الشّـــفاعة في هذا النصّ أوقعُ من النّموذج السّـــابق الّذي قال فيه طاهر بن الحُســـين "يُنفّذ حكم الله فيه"؛ فهنا اســـتعار البرمكيّ الآيةَ من كتاب اللهِ لتكون؛ حجّته ودليلَه في رفض الشّفاعة.

النتائج

1. تتجاوز نظرية الأفعال الكلامية المستوى الدلالي وتتعداه إلى العلاقة بين المتخاطِبين؛ من خلال دراسة اللغة عند الاســـتعمال مع مراعاة المقاصـــد اللغوية للمتكلمين.

2. وجـد البحـث تنوعًـا بالأفعـال الكلاميـة في التَّوقيعات على اختلاف أنواعها، ويتضح من خلال التطبيق على نصوص التَّوقيعات أنّ الأفعال الكلامية التوجيهية (الطلبيات) التي تستخدم أفعالًا دالة على الأمر والنهي والاســـتفهام والنداء... كانت الأكثر دورانًا في التَّوقيعـات؛ ويرجع ذلـك إلى ارتبـاطهـا بأحوال المتخاطبين، والتي غالبًا ما كانت من الأعلى إلى الأدنى، ثمّ تلتهـا الأفعـال الكلاميـة الإعلانيـة (التصـــريحيات) والتي تســـتخدم أفعالًا دالة على الإخبار أو الإعلان، بينما كانت الأفعال الإلزامية (الوعديات) الأقل دورانًا في التَّوقيعات، وهي الأفعال التي يُلزم صاحبها نفسه بفعل شيء كالوعد والضمان والتأييد.

3. كشـــف البحث عن القوة الإنجازية الواردة في الأفعال الكلامية للتوقيعات؛ إذ برز الفعل التأثيري وقوته الإنجازية في التأثير على المخاطَب مراعاةً لحاله ووصـولًا إلى قصـد المتكلم انتهاءً للنتيجة المرجوة في نجاح القول من فشله.

4. ســـاعدتِ عملية التخاطب في التَّوقيعات على إنجاح السـياق التواصـلي بين المتكلم والمخاطَب؛ إذ برز ذلـك في تطبيق نمـاذج من التَّوقيعـات على الاستلزام الحواري، فقد عملت التَّوقيعات على مراعاة حال المخاطَب للوصـــول إلى درجة عالية من التأثير والإقناع.

المصادر والمراجع

1- بلانشيه، فيليب: **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ترجمة صـابر الحبّاشـة، (اللاذقية، سـورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007).

2- بوجادي، خليفة، **التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصـادره ومجالاته**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، ع3، 2012م.

3- جرار، صـــلاح، والدروبي، محمد، **جمهرة توقيعـات العرب**، (أبو ظبي، مركز زايـد للتراث والتاريخ، 2001م).

4- ختام، جواد: **التداولية أصـولها واتجاهاتها**،

(1) البقرة: 179

(عمّان: كنوز المعرفة، ط1، 2016م).

5- الدروبي، محمد، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**، (الأردن: دار الفكر، ط1، 1999م).

6- صحراوي، مسعود: **التداولية عند العلماء العرب**، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 2005م).

7- الطبطبائي، طالب: **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، (الكويت: جامعة الكويت، دت، 1994م).

8- عبد الحق، صلاح إسماعيل: **التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد**، (دار التنوير، بيروت، ط1، 1993م).

9- عبد الرحمن، طه، **تجديد المنهج في تقويم التراث**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2، د.ت).

10- مزيد، بهاء الدين، **تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي**، (القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010م).

11- نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2002م).

12- نحلة، محمود: **نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية**، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، مجلد1، عدد1، إبريل 1999م.

13- يول، جورج: **التداولية**، ترجمة قصي العتابي، (الرباط، دار الأمان، ط1، 2010م).

14- معجم الدوحة التّاريخيّ، **مادة استقال**، https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%84